

تفسير ابن كثير

أَفْغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ

يقول تعالى منكرًا على من أراد دينا سوى دين الله ، الذي أنزل به كتبه وأرسل به رسله ،

وهو عبادته وحده لا شريك له ، الذي (له أسلم من في السماوات والأرض) أي :

استسلم له من فيهما طوعا وكرها ، كما قال تعالى : (والله يسجد من في السماوات

والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال) [الرعد : 15] وقال تعالى : (أولم

يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفياً ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون .

والله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون

ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون) [النحل : 48 - 50] . فالؤمن مستسلم بقلبه

وقالبه الله ، والكافر مستسلم الله كرها ، فإنه تحت التسخير والقهر والسلطان العظيم ، الذي

لا يخالف ولا يمانع . وقد ورد حديث في تفسير هذه الآية ، على معنى آخر فيه غرابة ،

فقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن النضر العسكري ، حدثنا سعيد بن حفص

النفيلى ، حدثنا محمد بن محصن العكاشي ، حدثنا الأوزاعي ، عن عطاء بن أبي رباح ،

عن النبي صلى الله عليه وسلم : (وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها)
أما من في السماوات فالملائكة ، وأما من في الأرض فمن ولد على الإسلام ، وأما كرها
فمن أتى به من سبايا الأمم في السلاسل والأغلال ، يقادون إلى الجنة وهم كارهون "
وقد ورد في الصحيح : " عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل " وسيأتي له
شاهد من وجه آخر ولكن المعنى الأول للآية أقوى . وقد قال وكيع في تفسيره : حدثنا
سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد : (وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها)
قال : هو كقوله : (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله) [لقمان : 25
[وقال أيضا : حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : (وله أسلم
من في السماوات والأرض طوعا وكرها) قال : حين أخذ الميثاق . (وإليه يرجعون) أي
: يوم المعاد ، فيجازي كلا بعمله .